تفسير ابن كثير

# تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 3- سورة طه | من الأية 71 إلى 12

عبدالرحمن العجلان

---

الحمد لله رب العالمين الصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصايا اتوكأ عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى - 00:00:01

قال القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى لا زال الكلام في قصة موسى على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام اول ما خاطبه الله جل وعلا به - 00:00:34

التوحيد بافراد الله بالعبادة انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري بعد ذلك خاطبه جل وعلا وسأله سؤالا ليجيب عليه والله جل وعلا لا تخفى عليه خافية - 00:01:12

وانما هذا السؤال للتقرير ولادخال الانس واذهاب الخوف والرعب من موسى عليه الصلاة والسلام قال الله جل وعلا له وما تلك بيمينك يا موسى وما تلك بيمينك يا موسى ما هذه - 00:01:59

اسمه استفهام وهي في محل مبتدع وتلك اسم اشارة الخبر وبيمينك الجار والمجرور متعلق حال الموجودة بيمينك او المقبوض عليها بيمينك ما تلك بيمينك يا موسى الله جل وعلا يراها - 00:02:44

وهو جل وعلا اعلم بها من موسى فاجاب موسى عليه الصلاة والسلام بجواب فيه شيء من التفصيل وشيء من الاجمال قال هي عصايا في عصا وفي ذلك لفت لنظر موسى - 00:03:32

لهذا العصا بانه سيحصل لها شأن لانها لو سقطت من يد موسى وصارت ما صارت بعد ذلك لربما ما توقع موسى ان هذه الحية هي العصا التي كانت بيده ولكنه تحدث عنها وسئل عنها - 00:04:18

وامر بالقائها لينتبه لما ستكون قال هي عصايا اتوكأ عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى لو قال موسى عليه الصلاة والسلام هي عصايا لكفى كان جواب ما هي؟ هي عصا - 00:04:50

ولكنه استأنس بخطاب ربه جل وعلا ففصل وذكر ما يستفيد منها من هذه العصا ثم اجمل لعله يسأل عن هذا الاجمال ويزيد في الحديث هي عصايا اتوكأ عليها نتكأ عليها - 00:05:30

عند الممشى وعند القيام وعند الوقوف فائدتي منها الاتكاء كما ان لغنمي لها فائدة منها كذلك ليست الفائدة محصورة لي وانما لي ولغيري والرفق بالحيوان ورعايته مما حث عليه الشرع - 00:06:05

اتوكأ عليها واهش بها على غنمي هش يهش والهش هو تحريك غصن الشجرة بالمحجن العصا ليتساقط شيء من ورق الشجر بدون ان تتأثر الشجرة لترعى الغنم ما يتساقط ويختلف عن الخبط - 00:06:53

لان الخبط قد يؤثر على الشجرة وعلى الغصن وانما يحرك الغصن ليتساقط بعض الورق وهو تحريك للغصن من اجل تساقط الورق وهو يختلف عن هش يهش يهش بمعنى يلين وكذلك - 00:07:50

يشعر بشيء من البشاشة يقال هش يهش في وجهه بمعنى بش واظهر السرور بلقياه واهش بها على غنمي لترعى هو يساعدها في الرعي يقرب لها ما يصعب او ما لا تستطيع الوصول اليه - 00:08:34

ولي فيها مآرب اخرى. هنا اختصر لان لا يطول الكلام فان سئل عنده استعداد للاجابة وربما يكون يود ان يسأل ليستمر كلامه مع ربه

جل وعلا ولي فيها مآرب اخرى - 00:09:18
مآرب جمع وتجمع على مآرب يعني مقاصد اغراض مأربة مثلثة الراء مأربة يقال معربة وماء الربا بضم الراء وكسر الراء مأربة وتجمع على مآرب يعني لي فيها اغراظ اخرى ما هذه الاغراض الاخرى - 00:10:02
هي والله اعلم ما يتبادر الى الذهن في ان يستفاد من العصا العادية لا انها عصا متميزة في ذلك الوقت قال بعض المفسرين يضعها على عاتقه فيحمل بها متاعه وربما تنفع - 00:10:53
في توصيل الحبل الى البئر اذا قصرت الحبل عن قعر البئر وكذلك يدافع بها عن نفسه الهوام والسباع فيستفيد منها وكان كثير من العرب يتخذون العصا وان لم يكونوا في حال الشيخوخة - 00:11:34
وموسى عليه السلام في سن الاربعين معه العصا في هذه الاغراض وعبدالله بن مسعود رضي الله عنه صاحب عصا النبي صلى الله عليه وسلم كان يحملها ويأخذها معه الرسول عليه الصلاة والسلام - 00:12:21
وسليمان عليه السلام اتخذ العصا فكان الكثير يتخذون العصا للاستفادة منها ويقول الامام الشوكاني رحمه الله وقعت على كتاب مجلد لطيف في فوائد العصا لبعض المؤلفين وكان النبي صلى الله عليه وسلم - 00:12:52
يحملها ويتكئ عليها اذا خطب وكان من عادة العرب عند الخطبة او عند التحدث مع الرجال يتخذ عصا يتكئ عليها قال الامام ابن كثير رحمه الله نقل بعض المفسرين بان هذه العصا التي مع موسى - 00:13:37
كانت تضيء له بالليل وكانت تخاطبه وكانت تمشي معه وكان اذا استقى دلاها في البئر خرج اخرجت الماء الكثير وقال لعل هذه من الاخبار الاسرائيلية التي لا تستند على شيء - 00:14:13
ولو كانت هكذا لما استغرب موسى ان تكون حية كما سيأتي ما دامت لها وظائف عدة هذه الوظائف ممكن ان تأتي بها ممكن ان تكون حيوان لكن الذي يظهر والله اعلم - 00:14:44
انها عصا عادية لتظهر المعجزة لكونها حية لانها لو كانت تتشكل باشكال عندما استغرب كونها حية لكنها عصا عادية كما ذكر موسى عليه السلام اتوقع عليها واهش بها على غنمي - 00:15:08
وقال بعضهم انها كانت عصا ادم نزل بها من الجنة وتوارثها الانبياء من بعده حتى وصلت الى شعيب وشعيب اعطاها موسى لما سلمه غنمه ليرعاها وزوجه ابنته اعطاه هذه العصا - 00:15:42
وهذه كلها اقوال لا تستند على دليل وانما احببت ذكرها لانه ربما وقع عليها بعض طلبة العلم فظن ان هذه فائدة لو ان هذا شيء صحيح مؤكد وليس كذلك وانما المؤكد ما جاء في كتاب الله - 00:16:05
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والله جل وعلا اخبر عن موسى انه قال هي عصايا اتوكأ عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى ولم يقل انها تحدثني او تواسيني او تجالسني او تماشيني - 00:16:32
او استقي بها او نحو ذلك صار الحديث فيها لفت نظر لموسى انتبه لما يحصل قال الله جل وعلا له قال القها يا موسى مخاطبة ربنا جل وعلا لموسى يناديه باسمه - 00:16:56
ما تلك بيمينك يا موسى القها يا موسى لما تقدم لان مخاطبة الشخص باسمه ادخال للانس عليه قال القها يا موسى القها في الارض فامتثل موسى عليه السلام امر ربه جل وعلا - 00:17:32
فالقاها فالقاها فاذا هي حية تسعى بعد القائها مباشرة اصبحت حية وجاء هي ثعبان وجاء كأنها جان والجان هو الحية الصغيرة سريعة الجري والثعبان الحية الكبيرة والحية اسم لهذا الجنس من الحيوان - 00:18:08
صغير او كبير ذكر او انثى يقال لها حية فهي القيت في الارض اصبحت وفي الكبر كالثعبان الكبير الجبال وتقظم الشجر تأتي الى الصخرة الكبيرة التي هي اكبر من الابل - 00:19:14
وتقظمها وتبلعها وتأتي الى الشجرة الكبيرة وتحصرها بانيابها فتسقطها وموسى يرى تولى هاربا شوف عليه السلام والخوف هذا طبيعي لا يؤثر على الايمان يطرأ ويعرض لكل احد اذا رأى ما يخوفه ويزعجه - 00:19:53

فخشي انها كانت نقمة عليه  عليه السلام ثم ناداه ربه جل وعلا اقبل ولا تخف فذهب عنه الخوف واقبل لما سمع نداء الله جل وعلا وامن لما قال الله جل وعلا له لا تخف - 00:20:47

فلايمانه وثقته بالله جل وعلا جاء وادخل يده في فمها فبمجرد ما ادخل اليد  انقلبت عصاه التي يعرفها وصارت اليد بدخولها بالفم في ممسك قبضتها مقبضها في السابق وقالوا كان لها - 00:21:22

شعبتان وفي طرفها جنان يعني كالشوكة معجزة عظيمة باهرة وموسى عليه السلام مؤمن بالله وامن خطاب الله جل وعلا وما يقول له ربه لكن الله جل وعلا اراد ان يريه ذلك في حال انفراده - 00:22:05

حتى لا يخاف اذا انقلبت عصا عند فرعون اذا انقلبت حية تسعى عند فرعون اراه الله جل وعلا اياها على انفراده ليطمئن فيما بعد فالقاها فاذا هي حية تسعى ما فائدة كلمة تسعى؟ اولا فهم منها انها تمشي - 00:22:54

وسريعة كأنها جان والجان هو اسرع اسرع الحيات ممشى زحفا في الارض شريعة وليس المراد كأنها جان يعني من الجن؟ لا وانما نوع من نوع من الحي من الحيات يقال لها جان - 00:23:34

التي هي اسرع انواع الحيات ممشى وكانت تسعى بسرعة وهي في الكبر كبيرة جدا اكبر أنواع الحيات ثعبان وفي قوله تسعى ليفهم انه حقيقة. يعني تمشي مشي حقيقي وليس تخييل - 00:24:01

يخيل اليه انها  لا بل هي حية حقيقية اصبحت باذن الله جل وعلا وهذه المعجزة العظيمة لموسى مع معجزات اخرى لكن هذه اعظمها والله اعلم والله جل وعلا يعطي انبياءه ورسله - 00:24:35

من المعجزات من جنس ما برع فيه قومه وفوق ذلك فلما كان في زمن فرعون كثر السحر واشتهر اعطى الله جل وعلا موسى معجزة من جنس ذلك وليست بسحر بل هي حقيقة - 00:25:12

بقدرة الله جل وعلا تكون حية تأكل وتلتهم ما حولها كما سيأتي التهمت كل ما جمعه السحرة وفي لحظة تعود عصا يقبضها موسى بيده ولما كان في زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم - 00:25:49

العرب في الفصاحة والبلاغة والاتيان بالاساليب الجيدة اعطاه الله جل وعلا القرآن العظيم الذي لم يستطع البلغاء ولا الفصحاء ولا الشعراء بان يأتوا بمثله بل ولا بعشر سور من مثله - 00:26:24

بل ولا بسورة من مثله معجزة خالدة وكانت معجزات الانبياء صلى الله عليهم وسلم تنتهي في وقت النبي ومعجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خالدة وهي القرآن الى ان يرث الله الارض ومن عليها - 00:26:52

وهي هذه المعجزة العظيمة الذي هو القرآن محفوظ باذن الله من التبديل والتغيير والزيادة والنقص فهو بايدينا الان والحمد لله كما كان مع الرسول صلى الله عليه وسلم هو الصحابة - 00:27:25

رضوان الله عليهم لان الله جل وعلا تكفل في حفظه القرآن تكفل الله جل وعلا بحفظه بخلاف التوراة والانجيل فلم يتكفل الله جل وعلا بحفظهما بل وكل حفظهما الى علماء اليهود والنصارى فتلاعبوا بهما - 00:27:47

كما قال الله جل وعلا بما استحفظوا من كتاب الله اليهود والنصارى التوراة والانجيل بما استحضروا من كتاب الله وقال في القرآن العظيم انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون - 00:28:20

فهذه المعجزة العظيمة لموسى عليه السلام التي هي العصا فالقاها فاذا هي حية تسعى اصبح لها شأن عظيم هذه العصا وربما تكون عصا عادية من اي شجرة كانت والله اعلم - 00:28:45

تكون عند فرعون حية تسعى ويضرب بها موسى البحر فينفلق فيكون كل فرق كالطود العظيم ويضرب بها موسى الحجر فتخرج منه اثنتا عشرة عينا باذن الله وكل هذا بقدرة الله جل وعلا - 00:29:17

وتعود بيد موسى يتوكأ عليها ويهش بها وموسى عليه الصلاة والسلام رأى الغنم لشعيب كما رعاها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لاهل مكة بقراريط لاهل مكة ويقول عليه الصلاة والسلام ما من نبي الا ورعى الغنم - 00:29:51

وفي رعاية الغنم تربية المرء على الرفق والتأني واللطافة من طبيعة الغنم واكتسب الرفق والتؤدة والتأني ليرفق بامته وليكون

صبورا حليما عليهم قال القها فالقاها فاذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف - 00:30:27
خذها لو قال جل وعلا له خذها تسارع الى الامتثال لكن ربما يكون مع خوف خوف طبيعي جبلي ان تنهشه كما نظمت الجبال وعظمة الشجر لكن الله جل وعلا قال له - 00:31:18
ولا تخف وعند ذلك ذهب الخوف كله واطمأن ادخل يده بين انيابها الذي هو اخوف نقطة لكن ذهب الخوف عنه باذن الله جل وعلا ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى ستعود - 00:31:44
على حالتها السابقة تحملها بيدك بدل ما كانت حية عظيمة لا يحملها الاقوياء العدد من الرجال لا يستطيعون حملها اصبحت عادت كما كانت عصا بيد موسى سنعيدها سيرتها الاولى يعني على طريقتها السابقة وعلى حالتها التي انت - 00:32:23
يعرفها عليها ففي هذه الايات الكريمة بيان بمخاطبة الله جل وعلا لموسى عليه السلام وتكليمه اياه الله جل وعلا كلم موسى تكليما ومن انكر ان الله جل وعلا يتكلم فقد كفر - 00:33:03
كما قرر ذلك علماء السلف من جحد شيئا من الصفات كفر والله جل وعلا يقول وكلم الله موسى تكليما والله جل وعلا يتكلم متى شاء كيفما شاء جل وعلا ونثبت - 00:33:43
هذه الصفة العظيمة لله جل وعلا كما اثبتها لنفسه واثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل على غرار صفات الباري جل وعلا - 00:34:28
كلها على حد قوله جل وعلا ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وفيها بيان لهذه المعجزة العظيمة لموسى عليه السلام والتي سيتبعها معجزات اخرى تأتي في الايات اللاحقة ان شاء الله - 00:34:57
وان الله جل وعلا على كل شيء قدير يجعل من العصا اليابس حية متحركة تلتهم ما حولها ثم تعود بقدرة الله جل وعلا كما كانت عصا يابسة يتوكأ عليها وفي هذه الايات - 00:35:32
ان صفة الانبياء الرفق للخلق بما في ذلك الحيوانات وهو عليه السلام من رفقه بالغنم كان يساعدها في الرعي لا يرسلها وينام وانما كان يساعدها ويبعد يقرب لها البعيد ويناولها ما لا تستطيع الوصول اليه - 00:36:17
وفي هذه الايات شيء من فوائد العصا فلها فوائد يساعد الانسان في ممشاه وتقيه باذن الله السقوط وتساعده حال القيام وتقرب له البعيد وتساعده في المدافعة عن نفسه الحيوانات والحشرات والهوام والسباع - 00:37:02
وتصد عنه الاعداء من الادميين وغيرهم فلها فوائد كثيرة وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اتخذها وكذا سليمان عليه السلام واظهار اظهار الله جل وعلا ما يشاء من المعجزات - 00:37:47
على ايدي رسله لتكون برهانا ودليلا على صدقهم وانها اشيا حقيقية لا كما يأتي به السحرة والمشعوذون يأتون باشياء لا حقيقة لها يموهون على العيون فيتراءى للانسان شيئا غير الحقيقة - 00:38:21
المعجزة دليل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وسيأتي الكلام عن الاية الاخرى والمعجزة الباهرة غدا ان شاء الله والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد - 00:39:07
وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:39:35